مقال للأب متى المسكين

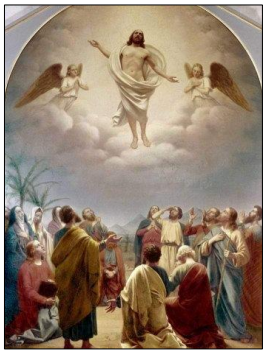

«وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ»

(يو ١٢: ٣٢)[١]

⊙✠⊙

+ «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يو ١٢: ٣٢).

هذه الآية تنطبق على الصليب، وتنطبق على الصعود، فهما نفس الحقيقة.

اليوم يوم فرح ومسرَّة عظيمين، فالبشرية التي سقطت من السماء، وعاشت على الأرض في عبودية مُرَّة ومطرودة من خير السماء، اليوم انفتحت لها السماء، حينما صعد المسيح.

صارت السماء للبشرية بكلِّ أمجادها، ولكن بصورةٍ أعظم مِمَّا كان لآدم.
فبحسب الإنجيل والتعليم الآبائي، فإنَّ بصعود المسيح، صعدت معه البشرية.

فعندما ارتفع المسيح ببشريته إلى السماء، صار لنا حقُّ الصعود في شخص يسوع المسيح، شريطةً أن نكون مُتمسِّكين بالمسيح، وأن تكون لنا معه علاقة.

لا بد أن نعرف أن أفعال المسيح هي أفعالٌ إلهيَّة وليست زمنيَّة. نعم هي بدأت في الزمان، ولكن لا نهاية لها.

على سبيل المثال، فقد وُلِدَ المسيح، ولكن ميلاد المسيح لا يزال إلى الآن تُسبِّحه الملائكة وتُمجِّده الكنيسة كفعلٍ مستمرٍّ دائم.

كذلك دم المسيح ما يزال يقطر أمام الآب، وهو مصدر شفاعة كل حين، لأن المسيح ببشريته جالسٌ عن يمين الآب، يشفع فينا نحن المُذنبين.

الصليب والصعود كلاهما فعلٌ دائم:

فالصليب فعلٌ دائمٌ، والصعود فعلٌ دائمٌ. فإن كان لي علاقة بالمسيح واتِّحاد به؛ فأنا

---

(١) من كلمة للأب متى المسكين ألقاها على الآباء الرهبان في وادي الريَّان بمناسبة عيد الصعود المجيد.

معه مصلوبًا، ومعه قائمًا، ومعه صاعدًا، وجالسًا معه في السماء.

في الحقيقة، كان صعود المسيح فتحًا جديدًا لمجالٍ كان ممنوعًا إطلاقًا علي الإنسان أن يتقدَّم إليه.

وأنا أحاول تشبيه ما صنعه المسيح في صعوده بالنسبة لنا كالآتي: كلُّنا نعرف المغناطيس إذا قرَّبتَ منه بُرادة حديد، ففي الحال يلتقط المغناطيس بُرادة الحديد. ما الذي حدث؟ الذرَّات التي في الحديد تمَّ ترتيبها من جديد، فسهل على المغناطيس اجتذابها. هذا هو ما حدث في صعود المسيح، وإن كنا لا نراه.

هكذا، كلُّ مَن يقترب من الربِّ يسوع المسيح، يحدث فيه مجالٌ جديد، ويكون له استطاعة أن يطرق مجال الله. هذا المجال صنعه المسيح للبشرية المُخلَّصة، بأن أعدَّ لها طريقًا صاعدًا إلى السماء يؤدِّي إلى الآب، نعبُره بدم يسوع المسيح؛ وهكذا نتقدَّم أمام الله بجرأة بسبب إيماننا وعلاقتنا بابنه.

صعود المسيح هو صعودنا نحن فيه:

فالصعود في الحقيقة، يا آبائي، هو صعودنا نحن. لقد صار لنا بالمسيح قوة جذب هائلة في السماء، صار لنا مجالٌ مؤمَّن، لا يقدر الشيطان رئيس سلطان الهواء وكلُّ قوَى الشرِّ أن يقترب منه أو يخترقه.

المسيح عندما صعد، جعل كلَّ أعدائه موطئ قدميه، فقد انصرعت كلُّ الأرواح الشريرة وانفتحت كلُّ الأبواب الدهريَّة.

مزمور إنجيل قدَّاس عيد الصعود يقول: «ارفعوا أيها الملوك أبوابكم». هذه حقيقة، فلقد انفتحت الأبواب السماويَّة التي كانت مُغلقة في وجه الإنسان. فعندما دخلها المسيح وهو حاملٌ جسدنا الإنساني، لم يدخل وحده؛ بل دخل ومعه آدم وكل أولاده.

لاحِظ أنَّ المسيح عندما يقول: «**أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ**» (يو ١٢: ٣٢)، فهنا الدخول يأتي منه هو، وليس هو مقدرة ولا كفاءة أو إمكانية أو جهد منَّا.

ولكن افترض أنَّ الشخص تعب ووقع في الطريق، هل لا يدخل؟! أقول لكم، يا أحبَّائي: إذا كان الملك هو بنفسه الذي يأخذنا ويُصعِدنا من أول خطوة؛ فهو يستحيل أن يتركنا في

الطريق حتى لو سقطنا! هو سيحتضننا ولن يتركنا حتى نهاية الطريق، حتى نصل إليه. فلا يوجد سقوط من نعمة الله أبدًا.

طريق السماء مؤمَّنٌ بنعمة الله:

الطريق مؤمَّنٌ بنعمة الله وليس بجهد الإنسان. ولكن هذا لا يوحي بالطبع بأنَّ كلَّ مَن آمن لا يسقط، وأنَّ كلَّ مَنْ قَبِل المسيح لا يمكن أن يُخطئ. نحن كلُّنا مُعرَّضون للسقوط والخطأ. كلُّنا في خطر البُعد عن الله والحِرمان من السماويَّات إلى آخر لحظة من الحياة. ولكن الذين اختارهم الرب لم يصعدوا إليه بأنفسهم، أو تقواهم؛ لكن الرب هو الذي يجتذبهم: «**وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ ... أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ**» (يو ١٢: ٣٢).

«**أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ**»، كلُّ المطلوب منك فقط هو أنك تقترب من المغناطيس، تترك نفسك له، والباقي عليه. فهو سوف يجذبك إليه. لن يستطيع أحدٌ أن يمنعك أو يوقفك عن الانجذاب نحو المسيح، إلَّا إذا أنت عاندتَه وانجذبتَ بإرادتك إلى ما هو ضدُّه.

قوة الجذب السماوي:

هذا اليوم هو يوم فرح عظيم للبشريَّة. أصبح لنا مركز جذب سماوي يمكن أنه يدفعنا إلى فوق، وليس فقط يجذبنا، بل يجعلنا نجري: «اُجْذُبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ». هنا بُعْدُ الجذب يُعطي صورةً مُبدعة ومُفرحة للإنسان؛ فبمجرد أن ينجذب، لا يقدر أن يتباطأ؛ بمجرد أن يحصل جذب، سوف لا يقدر الإنسان أن ينام أو يُهمِل أو يتكاسل.

مَن ذاق الجذب الإلهي سيجري ويلهث بالرغم عنه، سيأخذ عافية أكبر من طاقته ومن إمكانياته. تجد عنده قوة الصوم، وقوة الصلاة، وقوة الميطانيات، وقوة الدموع، وقوة الحب والبذل.

هذا الجهد كله تتعجَّب من أين تحصَّل عليه الإنسان؟! إنها قوة جذب سماوي تفاعلت مع جهدٍ صغير داخل الإنسان، ولكنه ضُرب في ألف وفي عشرة آلاف. لذا لا تتعجَّب كيف أن إنسانًا كسولًا يملُّ من الصَّلاة، إذا به يقضي ساعتين في الصَّلاة أو أكثر، ولا يريد أن يُنهيها. لقد صار لنا في السماء مركز جذبٍ بصعود المسيح إلى فوق.

هذا الجذب هو نتيجة شفاعة مستمرة يطلبها لنا المسيح من الله الآب لأجلنا.

كلُّ سنة وأنتم طيبون.